

المكتبة العامة ودورها في تحقيق التنمية الثقافية لدى الطفل الجزائري وإعداده لمواجهة تحديات المستقبل

حنان طرشان

جامعة قسنطينة

مقدمة

يولد الطفل وهو مزود بقدرة على التعلم، ولكن لا يولد وهو مزود بأنماط السلوك بل لا بد من تعلمها حتى يتمكن من التكيف مع الحياة الاجتماعية، بالشكل الذي يقبله المجتمع الذي يعيش فيه، وعملية تشكيل شخصية الفرد و نقله من حالته الفطرية الى حالته الاجتماعية تتم عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية و الثقافية.

لذلك أجمع علماء النفس و التربية على وصف مرحلة الطفولة المبكرة "بالمرحلة الحرجة"، لما لها من تأثير بالغ في تشكيل شخصية الطفل و تنمية قدراته واستعداده للتعلم. فهي مرحلة تكوين الضمير و الخروج من المركزية الذاتية و بداية نمو الشعور بالمسؤولية و حقوق الآخرين. و هي مرحلة تشكيل القيم الأخلاقية و الاجتماعية مثل الاستقلال الذاتي و حب العمل و الإنجاز و التعاون واحترام النظام. و هي أيضا مرحلة التأسيس الأولى للغة، و ذلك لما توفره البيئة التعليمية من ممارسات و أنشطة لغوية تزيد من حصيلة الطفل من المفردات و التراكيب و الاستخدامات اللغوية. كما ان هذه المرحلة هي اسرع فترة لنمو العقل، حيث إن خلايا عقل الإنسان البالغ تستكمل نموها التكويني أثناء هذه الفترة أيضا.

تماشيا مع التطورات و التوجهات الجديدة في مجال المكتبات العامة كمرحلة حرجة في عمر الناشئة، فإنه من الأساسيات أن تتماشى هذه المرحلة و تتناسب مع كل المستجدات.

و إذا كانت سياسة التعليم الجزائري ذات تأثير قوي على مناهج و مخرجات التعليم أو على الأقل ذات تأثير يذكر، فإنه من الضروري أن تتفاعل هذه السياسة مع المستجدات التربوية و المتغيرات الحضارية. و إذا كانت أهداف المكتبة العامة قد تم وضعها منذ فترة بعيدة جدا، فمن الضروري بمكان إجراء مراجعة علمية لها و التعرف على مدى تحقيقها والصعوبات التي تحول دون ذلك و أهم المقترحات لتفعيلها و تعديلها لكي تتوافق مع هذه التطورات و المستجدات.

مكانة الطفل

يحتل الطفل مكانة خاصة لدى العالم أجمع ، فهو أساس المجتمعات و عمادها، و ليس أدل على مكانته الخاصة ما قامت به الأمم المتحدة من دعوة جميع دول العالم الى المشاركة في الاحتفال بالطفولة في عام 1979 حينما أعلنت ذلك العام " عاما دوليا للطفل " وذلك بمناسبة الذكرى السنوية العشرين لإعلان حقوق الطفل الصادر في عام 1959 , وذلك لتركيز الاهتمام على احتياجات الطفولة في كافة أنحاء العالم ، وقد كانت رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة من بين الهيئات التي دعت للإسهام في هذه الاحتفالات وإبراز وجهة النظر الإسلامية في الطفولة بتقديم الدراسات و البحوث في هذا المجال.

منذ الستينات من القرن العشرين الميلادي الى يومنا هذا و الهيئات الدولية و الإقليمية و القومية تهتم اهتماما بالغا بالطفولة و بخاصة في مجالات الثقافة و الكتب و المكتبات. ومن تلك الهيئات منظمة اليونيسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة و مكتبة الاطفال الدولية و الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات و كذلك المجلس الدولي لكتب الأطفال.

ساهم الوطن العربي بنصيب كبير في الاهتمام بالطفل و الطفولة و خاصة في مجال تنمية ثقافة الطفل من خلال الكتب و المكتبات للأطفال، وليس أدل على ذلك ما تم مناقشته في المؤتمرات و الندوات و الحلقات الدراسية.

كان أولى تلك الاهتمامات المؤتمر الذي عقد بين وزارة التربية العرب في الكويت في عام 1968 الذي أوصى بضرورة الاهتمام بالثقافة القومية للطفل العربي و نشر الكتب و المجالات المناسبة له، ثم توالى مظاهر ذلك الاهتمام خلال السنوات حتى الندوة التي عقدها مكتب التربية العربي لدول الخليج بالتعاون مع اليونيسكو بدولة البحرين في ديسمبر عام 1985، و قد تناولت كتب الاطفال في دول الخليج العربية و ناقشت المشاكل التي تواجه كتب الأطفال بالخليج العربي و مدى تأثيرها في الجيل الجديد وأسباب ابتعاد الأطفال عن القراءة .

أهمية المكتبات في تنمية ثقافة الطفل

استقرت الخدمة المكتبية للأطفال منذ حوالي ما يزيد عن النصف قرن تقريبا و تعددت المؤسسات و الهيئات التي تقدم خدماتها المكتبية للأطفال مع أواخر الخمسينات من القرن العشرين الميلادي وتقع المكتبات العامة و أقسام الأطفال بها في مقدمة المكتبات التي تقدم خدماتها للأطفال، و كذلك المكتبات المدرسية وخاصة في المرحلة الابتدائية إضافة الى المكتبات الملحقة بالنوادي الرياضية و الاجتماعية، وكذلك المكتبات المستقلة الخاصة بالأطفال ، كل تلك الانواع من المكتبات وإن تنوعت خدماتها واختلفت فيما بينها، الا انها تهدف في المقام الاول الى تنمية ثقافات الطفل من خلال قراءات متنوعة ، و تعويده إرتياد المكتبات منذ الصغر ليشب قارئاً بصفة دائمة في مستقبل حياته مستفيداً من المكتبات كلما تقدمت به الأعوام واتضحت معالم المستقبل العلمي و الوظيفي الذي يترأى له ويرغبه.

من خلال العام الدولي للطفل 1979 بذلت منظمة اليونسكو مجهودات ضخمة للنهوض بكتاب الطفل و ثقافته من بين هذه الجهود: الاهتمام والتركيز على مكتبات الأطفال و تطويرها و ما يقدم لهم من كتب ، ومساعدة الدول النامية و إنتاج و توزيع

أدب الطفل ، كما أصدرت اليونيسكو عددا من المطبوعات عن كيفية إدارة و تنظيم المكتبات الخاصة بالأطفال، و كيفية معالجة المواد التي تحتويها كي تكون هـده المطبوعات في متناول أيدي القائمين على خدمات مكتبات الأطفال و المكتبيين، كما نظمت اليونيسكو برامج دراسية لتدريب المدرسين على أعمال المكتبات في عدد من الدول النامية.

من أهم المكتبات التي ترعى ثقافة الطفل نجد المكتبات العامة:

بدأت المكتبات العامة في المجتمعات الغربية و بخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية و انجلترا في تقديم خدماتها للأطفال منذ الربع الاول من القرن العشرين الميلادي، و تكون مجموعة الأطفال في تلك المجتمعات -فيما قبل مرحلة الدراسة الابتدائية الى بداية مرحلة الدراسة المتوسطة -أكبر نسبة من أفراد المجتمع عامة استخداما للمكتبات العامة ، كما ان مجموعة أطفال ما بين سن التاسعة الى الحادية عشرة يشكلون قمة مجموعة القراء من الأطفال بوجه عام من واقع المستعيرين في تلك المكتبات.

لقد حدد ميثاق اليونيسكو للمكتبات العامة في عام 1973 ماهية المكتبة العامة وهدفها: " بان المكتبة العامة تهدف الى تقديم خدماتها و فتح أبوابها لجميع افراد المجتمع دون مقابل ودون تحيز لجنس أو لون او وطن أو فشة عمر أو دين او مستوى تعليمي معين."

تحرص المكتبات العامة المركزية على أقسام خاصة بالأطفال داخل مبنى المكتبة المركزية، بينما تقيم المكتبات الفرعية أركان خاصة بهم، ولعل قسم الاطفال في المكتبات العامة بما فيه من كتب تتفق و ميولهم و مقدرتهم على القراءة يعمل على جذب الاطفال الى تلك الكتب و غيرها من اوعية سمعية و بصرية كما يساعد وجود قسم للأطفال داخل مبنى المكتبة العامة على الانتقال الطبيعي و التلقائي للأطفال الذين تعودوا ارتياد المكتبة من ان ينتقلوا الى قسم خدمات الكبار حيث تصبح القراءة بالنسبة لهم نشاطا

مستمرا. وتعمل المكتبة العامة على إثارة حب القراءة لدى الاطفال لما تقتنيه لهم من كتب و اوعية اخرى متنوعة الشكل و الموضوع ، فيطلبون مزيدا من القراءات، و الاطفال بإثارتهم و طلبهم لمزيد من القراءات انما يتخطون المشكلات التي تواجههم في مراحل نموهم المختلفة و تصبح القراءة لدى الاطفال ظاهرة المتعة وان كان باطنها ينطوي على عوامل سيكولوجية و فسيولوجية . حيث تساعدهم الكتب على التعمق فيما بداخلهم، وعلى تفهم الاخرين من الكبار- ونعني بهم الآباء و الانتماء اليهم وإذابة الفوارق الجيلية بينهم.

لذلك، ففي المكتبة العامة تبرز أهمية الكتب بالنسبة للأطفال وتتعامل معها على انها وسيلة فعالة في تشكيل ثقافة الطفل ثقافة متكاملة و ليس فقط على انها وسيلة تعليمية لبرامج دراسية معتمدة ، وحينما أقر الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات المعايير التي صدرت في عام 1972م ضرورة أن تزود مباني المكتبات العامة بتيسيرات الخدمة للكبار و الصغار، كان تأييدا و توكيدا لضرورة أن قيام الخدمة المكتبية للأطفال كجزء من المكتبة العامة . ومع ذلك فإن تلك التيسيرات التي أقرتها معايير IFLA لكل من الصغارة والكبار لا بد ان تتفاوت نسبيا حسب الظروف المختلفة في المجتمعات التي تقام فيها تلك المكتبات العامة وأقسام الأطفال بها.

أصبح من الضروري و الحتمي أن تزود مواقع الخدمة المكتبية العامة بأحجامة المختلفة سواء كانت المكتبة العامة المركزية او المكتبة المتنقلة بمجموعة من الكتب للأطفال وغيرها- من الأوعية الثقيفية السمعية و البصرية تتفق و أعمار مجموعة الأطفال، و مما لاشك فيه أن مجموعة كتب ثقافة الطفل سيتفاوت حجما وفقا لمتغيرات الحيز المخصص للخدمة المكتبية ككل.

إذا كان المؤلف أن تقام الخدمة المكتبية للأطفال كجزء من المكتبة العامة، كما يتمثل ذلك في المكتبات العامة في كافة المجتمعات بعامة، فإن المجتمعات الاشتراكية و بخاصة الاتحاد السوفيتي عمد إلى تخصيص مكتبات عامة مستقلة للخدمة المكتبية للأطفال فقط وصل عددها وحدها إلى أربعة آلاف مكتبة . و إذا كانت سلبيات هذا النظام لا تتوازن مع إيجابياته فإن إقامة مثل تلك المكتبات المستقلة للأطفال يعني أن تكون أعداد الصغار في المجتمعات السكنية يفوق أعداد الكبار بكثير. يضاف إلى ذلك تكلفة إقامة مكتبات مستقلة للأطفال، حيث تتضخم الميزانيات المخصصة للخدمة المكتبية موزعة على المباني و الموظفين و المجموعات ، كما أن ذلك النظام غير مستحب من الناحية التعليمية التربوية حيث تصبح عملية انتقال الأطفال من مكتبهم المستقلة إلى المكتبة العامة للكبار حينما يصبحون شبابا ، عملية يشوبها المخاطرة باستمرارية القراءة واستخدام المكتبات الذي يرجى بفاعلية في المكتبة العامة التي تضم القسمين معا- الأطفال و الكبار- وذلك لتباعد موقع كل منهما عن الآخر.

لعل من مميزات الخدمة المكتبية العامة للأطفال ان المكتبة العامة موجودة في مجتمعهم على مقربة منهم و تفتح طوال أيام الاسبوع و خلال أشهر العام حتى بعد انتهاء العام الدراسي.

عناصر الخدمة المكتبية للأطفال و مقوماتها

إن الخدمات المكتبية للأطفال ضرورية لتنمية ثقافتهم و مهاراتهم وقدراتهم القرائية ولما تسهم به في تكوين القارئ الباحث من الكبار ، فإذا كانت المكتبات العامة وجدت في القرن التاسع عشر في العالم الغربي المتقدم وبخاصة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية و إنجلترا ، فإن العشرينات من القرن العشرين الميلادي شهدت بزوغ الخدمة المكتبية العامة للأطفال كتخصص متميز له عناصره و مقوماته ، وذلك في الولايات المتحدة الأمريكية،

تلتها في الثلاثينات حيث بدى بالتركيز على موظف خدمة الأطفال باعتباره أهم عناصر الخدمة المكتبية لهم على الإطلاق.

منذ الثلاثينات و التقدم الملحوظ في كل دول العالم الثالث الغربي بالنسبة للخدمة المكتبية العامة للأطفال و التركيز على عناصرها الأساسية التي تتكون من محاور ثلاث هي الموظف للخدمة، و مجموعة أوعية المعلومات، ثم مكان الخدمة المكتبية للأطفال، ولقد أثبتت الدراسات أن نجاح الخدمة المكتبية للأطفال يقع بنسبة 80% على الموظف القائم بالخدمة و من ثمة فهو يستطيع أن يقود مكتبة الطفل إلى النجاح و يحقق أهداف الخدمة في تنمية المهارات القرائية للأطفال و تشجيعهم وحثهم على القراءة وحب ارتياد المكتبات في حاضرهم و مستقبل حياتهم، بينما تقع فاعلية الأوعية في نجاح الخدمة بنسبة 20%. ويعني ذلك أن موظف الخدمة في استطاعته أن يقوم بالكثير من الخدمات والانشطة التي تقود الى تحقيق أهداف الخدمة المكتبية العامة للأطفال في وجود مجموعة من الاوعية الثقافية مهما كانت قليلة العدد. بينما يكون نصيب المكان المخصص للخدمة او موقع مكتبة الطفل من نجاح الخدمة نسبة 5%.

السياق التاريخي للمكتبات العامة في الجزائر

إن الحاضر هو امتداد زمني للماضي، وكل الأحداث الحالية و الجارية، و خصائص هذا الواقع تحمل جذورا في الماضي. وكذلك المكتبات العامة في الجزائر لا يمكننا أخذ صورة واضحة عنها و عن واقعها الحالي، إذا استأصلناها عن ماضيها و حاولنا تشخيصها في منأى عنه، لذلك ارتأينا توضيح السياق التاريخي الذي تطورت فيه هذه المكتبات:

المكتبات العامة في العهد العثماني 1518-1830

ترجع المصادر بدايات المكتبات العامة في الجزائر إلى فترة الحكم العثماني. حيث كان هناك نوعان من المكتبات، النوع الأول هو مكتبات العلماء و الأثرياء والتي كانت

تتواجد بمنازلهم ، وهي مكتبات خاصة وليست مفتوحة لعامة الشعب، اما النوع الثاني فيمكن وصفها بأنها مكتبات عامة وكان يصطلح على تسميتها المكتبات السلطانية أو الأميرية وكانت موجودة بالمساجد و الجوامع و الزوايا و المدارس، ومن أشهر هذه المكتبات في ذلك العهد مكتبة الجامع الكبير بالجزائر العاصمة و مكتبة المدرسة المحمدية التي أسسها الباي محمد الكبير في معسكر.

المكتبات العامة خلال الفترة الاستعمارية 1830-1962

لقد عملت فرنسا على إنشاء المكتبات العامة و تحسين وضعيتها ، و ذلك كغيرها من الدول الأوروبية، ولما كانت فرنسا تعتبر الجزائر قطعة فرنسية فقد أنشأت بعض المكتبات بالجزائر و بالإضافة الى الأدوار التي تلعبها المكتبة من مساندة للتعليم و تطوير شخصية الفرد و تحقيق الاكتفاء الفكري و الثقافي بشكل عام، كانت فرنسا المستعمرة ترى في إنشاء المكتبة العامة ضرورة لأن الفئات الفرنسية كانت أقلية في الجزائر ، و بالتالي فالمكتبات كانت "الاداة الوحيدة لنشر التعليم و ايضا توطيد و تطوير الفكر الفرنسي في السكان". وقد عرفت المكتبات العامة اثناء الاحتلال الفرنسي ثلاثة مراحل متتالية ومتميزة.

أهم مراحل الفترة الاستعمارية:

مرحلة القرن التاسع عشر:

تميزت هذه المرحلة بإنشاء مكتبة الجزائر في 1835، وذلك استجابة لضرورة تجميع وحفظ بقايا الماضي الخاصة بمستعمرة محتلة حديثا أي إنشاء تراثا للمنطقة. وقد كانت مكتبات هذه الفترة مخازن أكثر منها مكتبات بمعنى الكلمة ، حيث تؤكد مفتشية فرنسا للمكتبات سنة 1908 ان مكتبات الجزائر المستعمرة تفتقر الى الوسائل و الإمكانيات وتقنيات التنظيم والتسيير ، لكنها رغم ذلك كانت تسعى لتحسينها و الإنفاق عليها كغيرها من الدول.

مرحلة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية:

إن نتائج الحرب العالمية الأولى كما انعكست على مجالات عديدة فكذلك أثرت على المكتبات ، حيث عرفت أسعار الكتب ارتفاعا رهيبا مما اعاق تطوير مجموعاتها ، وظلت تعاني وضعية مزرية الى غاية 1925 حيث تم لأول مرة تسجيل المجالس المالية الجزائرية في ميزانية 1924 اعتمادا مخصصا لاقتناء الكتب للمكتبات العامة في الجزائر.

المدينة	عدد السكان	النفقات (فرنك)	الاعتمادات الممنوحة لمكتبات البلدية	%
الجزائر	172000	7.226.302	7.000	0,09
وهران	123000	27.214	4.100	0,15
قسنطينة	65173	--	2.800	--
عنابة	42000	519.500	800	0,15

جدول(04): الاعتمادات المالية الممنوحة للمكتبات البلدية بالنسبة لنفقات البلديات وعدد سكانها

في هذه المرحلة بدا يتبلور مفهوم المطالعة العمومية ، حيث أنه في 26 مارس 1929 وضع الوزير الفرنسي للتعليم العام اما مجلس الامة اقتراح تنظيم قاعات بلدية للقراءة في كل فرنسا . و في سنة 1930 رفع نواب البرلمان قضية المكتبات العامة لكنها لم تكن ذات فائدة . و اهم ما يميز هذه المرحلة انعقاد المؤتمر الدولي للمطالعة العمومية.

المؤتمر الدولي للمطالعة العمومية

انعقد هذا المؤتمر في الجزائر أيام 14، 15 و 16 أفريل 1931، وكان منظما من طرف جمعية المكتبيين الفرنسيين تحت الرعاية السامية للحاكم العام للجزائر، و الإقامة العامة بالمغرب و الإقامة العامة بتونس، أما الحضور فتمثل في الفيدرالية الدولية لجمعيات

المكتبات FIAB و ممثلين عن مختلف بما فيها ألمانيا ، إنجلترا ، بلجيكا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، فرنسا إيطاليا، الدول المنخفضة و سويسرا. اما فيما يخص المداخلات فقد تمحورت حول القراءة العمومية ، المكتبة العامة الحديثة ، المكتبات في الحياة المعاصرة، تنظيم المطالعة العمومية في بلجيكا ، و في الدانمارك، في إيطاليا في ليتوانيا ، و في الدول المنخفضة . و كذا حول مستقبل القراءة العمومية.

أما فيما يخص سبب اختيار الجزائر لانعقاد هذا المؤتمر ، فقد ذكر الأمين العام للمؤتمر في كلمته الافتتاحية "فكرت جمعية المكتبيين الفرنسيين ، في أن أرض فرنسا التي ستجد فيها افكارها أكثر الحظ للإنتاج السريع ، هو هذه الجزائر الجميلة ، التي هي بلد المبادرات الشجاعة ، و الإنجازات السريعة. و قد تشجعت الجمعية في هذا الرأي بالنتائج الجيدة التي حققها مدير المكتبة الوطنية للجزائر بتنظيمه لعمليات شراء الكتب للحكومة العامة....، أية مدينة في فرنسا تفخر بتوفرها على سبع مكتبات فرعية لمكتبتها المركزية ، و تمتلك إضافة لذلك خمس مكتبات للأطفال ، مدينة باريس ليس لها بعد إلا مكتبة وحيدة للأطفال.

نتائج المؤتمر

خلال هذا المؤتمر تمت مناقشة موضوع المطالعة العمومية لأول مرة بشكل جدي ودقيق خلال جلساته، و ختم المؤتمر بالتصويت على حل يتمثل في تطبيق قانون ينظم القراءة العمومية في الجزائر، وإصدار بعض التوصيات الأخرى تسمح بتنظيم المكتبات، منها:

- 1- إنشاء مصلحة مكلفة بتجميع المنشورات التي يتم إعدادها على حساب الحكومة العامة التي تمون من طرفها، و توصيلها إلى المؤسسات و الأفراد المؤهلين لاستقبالها.
- 2- ان تكون نفس المصلحة مكلفة بتجميع الكتب الموجهة إلى الحكومة العامة كتبادل عن المنشورات المذكورة آنفا، و توجيهها إلى مكتبات الجزائر حيث ستكون أكثر إفادة.

مرحلة ما بعد 1945

أوضحت نتائج مهمة التفتيش التي جرت في 1946 من طرف المفتش العام للمكتبات Pierre Le Lièvre ان هناك اهتماما ضئيلا بالمكتبات من طرف الإدارة ، و أحيانا منعدا خاصة في مدن كبرى كوهراوان او عنابة ، وتلمسان.

وبغض النظر عن هذه الملاحظة التي سجلت ، نجد ان فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية كانت مميزة بتطور معتبر في عدد المكتبات ، وذلك وفقا لما يبينه الجدول الآتي :

السنة	عدد المكتبات
1949	20
1950	80
1951	170
1952	186
1953	216
1954	238
1955	318
1956	327

جدول (02): تطور عدد المكتبات العمومية من 1949 إلى 1956

الثقافة وشخصية الطفل

بدأ الاهتمام في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينات بدراسة العلاقة بين علم النفس والانثروبولوجيا في إطار دراسة الاختلافات التي توجد داخل الجماعات فيما يتعلق بالعمليات الإدراكية خاصة الذكاء والقدرات الخاصة وعلاقتها بالظروف الثقافية العامة، وقد حدث هذا الاتجاه بعد أن ظل علماء النفس يبحثون داخل معالم لفترات طويلة وفي نهاية المطاف اكتشفوا الثقافة، كما اكتشف الأنثروبولوجيون الشخصية على اعتبار أن

الإنسان نفسه مكون الثقافة وحاملها والموجه لها، ويقابل هذه الرؤية الاتجاه الدوركامي في علم الاجتماع الذي يعتبر المجتمع لا الإنسان مكون الثقافة، ولهذا فرض موضوع الثقافة والشخصية نفسه على البحوث الأنثروبولوجية بشكل واضح، وترى "ميد" أن الطفل يولد صفحة بيضاء، والثقافة المستقبلية هي التي تضع بصماتها على تلك الصفحة لترسم معالم الشخصية من خلال عموميات وخصوصيات وبديلات الثقافة.

الثقافة وسلوك الطفل

يمكن القول أنه ما دام الشخص في تفاعل دائم مع البيئة فهو يكتسب منها أنماط السلوك المختلفة، ولذلك يعد السلوك محصلة التفاعل بين الشخصية التي عملت الثقافة على بلورتها وبين الثقافة ذاتها حيث يحس الشخص و يفكر ويستجيب بطريقة تحددها عناصر الثقافة التي يحيا في ظلها، ويتشكل سلوكه ليتلاءم معها، وعلى هذا الأساس يعد سلوك الأطفال وليد الثقافة أيضا حيث يتعلم الطفل أنماطا محددة من السلوك وتهيئ له الثقافة أن يتعامل مع المواقف الجديدة التي يواجهها لأول مرة لذا فإنه لو عزل عن الثقافة لاتباع سلوكا مختلفا.

الثقافة و نمو الطفل

يمكن القول أن للثقافة أثرها في الأوجه المختلفة لنمو الطفل، كالنمو العقلي والانفعالي الحركي والاجتماعي، وهذا التأثير لا يتخذ نسبا واحدة بل يتفاوت إلى حد كبير فالبيئة الثقافية لا تؤثر في النمو الجسمي إلا في نطاق محدود بينما تؤثر تأثيرا كبيرا في النمو الانفعالي والاجتماعي، ففي مجال النمو العقلي على سبيل المثال والذي يتمثل في الذكاء وكافة العمليات العقلية الأخرى كالإدراك والتصور والتفكير واكتساب المعلومات... إلخ يمكن التدليل على أثر الثقافة فيها من خلال الإشارة إلى ما تحدثه في مختلف هذه الجوانب فلثقافة دور في تشكيل المدركات، فالإدراك السليم هو الطريق الصحيح إلى فهم الطفل لثقافة مجتمعه، كما تؤثر الثقافة في نمو الطفل عاطفيا وانفعاليا من

خلال تنمية استجاباته للمثيرات المختلفة، واكتسابه الميول والاتجاهات وطرق التعبير عن انفعالاته.

بعض المؤتمرات العربية حول ثقافة الطفل

إذا كانت الحاجة تدعو إلى أن تهتم الكليات الجامعية والمراكز البحثية المعنية وكذلك المهتمون بشؤون تربية الطفل قبل المدرسة وثقافته بإجراء بحوث ودراسات، فإنه مما يثلج الصدر أنه قد عقدت مجموعة ندوات ومؤتمرات في هذا الخصوص في مصر وفي العالم العربي منها على سبيل المثال:

أ- المؤتمر الأول لثقافة الأطفال، وزارة التعليم جمهورية مصر العربية، القاهرة، من 14-16 مارس 1970 ويعتبر هذا المؤتمر علامة بارزة على الطريق في الجهود العلمية لتربية أطفال ما قبل المدرسة.

ب- حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي - جامعة الدول العربية (الأمانة العامة) الإدارة الثقافية، بيروت من 7-17 سبتمبر 1970، وأوصت الحلقة بإنشاء مؤسسة أو جهاز عربي إقليمي متخصص للعناية بالثقافة القومية للطفل العربي.

ج- حلقة ثقافة الطفل في الخليج والجزيرة العربية والدول العربية المحيطة بها، الكويت من 11-13 يناير 1975 وركزت الحلقة في توصياتها على التوسع في دور الحضارة ورياض الأطفال ورفع مستوى الخدمات التي تقدمها مع الإهتمام بإعداد وتدريب العاملين في هذه المؤسسات.

د- المؤتمر الأول لثقافة الطفل، وزارة الثقافة، جمهورية مصر العربية، الاسكندرية من 27-29 ديسمبر 1975، واهتم هذا المؤتمر بالبحوث والدراسات المرتبطة بوسائل الإعلام ومسرح الطفل، وأفلام الأطفال وبرامج إعداد العاملين في هذه الميادين، وذلك لتقديم أحسن خدمة لطفل ما قبل المدرسة ثقافيا وفكريا ووجدانيا.

هـ- ندوة تربية الطفل في السنوات الست الأولى-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخرطوم من 17-22 ديسمبر 1977 وكان التركيز في هذه الندوة على مناقشة تربية الطفل قبل المدرسة.

و- المؤتمر الثاني لثقافة الطفل، وزارة التربية والتعليم، مصر، القاهرة من 28-30 ديسمبر 1980 وناقش المؤتمر عديدا من البحوث في مجالات القيم الدينية والأخلاقية للأطفال، كتب ومجلات الأطفال، فنون الأطفال، أفلام وبرامج الأطفال...الخ

ي- الحلقة الدراسية الإقليمية حول القيم التربوية في ثقافة الطفل - مركز تنمية الكتاب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 3 نوفمبر - 4 ديسمبر 1985، واهتمت الحلقة بمناقشة قصص الأطفال ودور القصة في النمو الأخلاقي للأطفال وزيادة الاهتمام بالعاملين في مجال ثقافة الطفل.

فلسفة تثقيف الطفل

عندما نتحدث هنا عن الفلسفة فإننا نعني بها الإطار النظري الذي يحكم الممارسات العلمية في مجال معين، وأهمية وضع عددا من الشروط العامة التي يمكن أن نسترشد بها في الحكم على واقع ثقافة الطفل العربي.

فيما يلي شرح لهذه الشروط و الدعوة إلى وجود فلسفة للتثقيف نابعة من إحساسنا بالحاجة إلى توحيد الجهود المبذولة في شتى المجالات، يقوم بها الكثير من المؤسسات التربوية والإعلامية والحكومية.

الحقيقة أن فلسفة تثقيف الطفل والإطار النظري الذي يحكم الممارسات العلمية فيه ينبغي أن يتوافر له عدد من الشروط اللازمة: لكي يمكن القول إننا نتجه بتثقيف الطفل العربي نحو فلسفة واضحة.

أن تكون شاملة في نظرتها: يعني أن تستقي مادتها من المدى الكلي للخبرة الانسانية فتواجه جميع المطالب الخاصة بالأفراد وتراعي قدرات الطفل وخصائصه، كما تراعي

المثيرات الاجتماعية بما فيها من عناصر ينبغي المحافظة عليها أو يمكن تغييرها أو توجيهها، وتراعي الطبقات والفئات الخاصة وتؤدي إلى تعدد مجالات التثقيف بحيث تشمل جميع جوانب الحياة.

مراعاة الاتساق بين الفكر والتطبيق (أو بين الأهداف و التطبيق): فليس هناك اتساق بين أهدافنا وسلوكنا لتحقيق هذه الأهداف، فقد ندعي أن تعليم اللغة العربية في الصفوف الأولى مسألة ضرورية لارتباط الطفل بثقافة مجتمعه ونجد أن كثيرا من رياض الأطفال لا تتكلم مع الطفل إلا باللغة الإنجليزية، وهناك العديد من الأمثلة التي تعكس التناقض بين الهدف والطريقة، مما نجد له آثارا على ثقافة الطفل.

القابلية للتطبيق العلمي: أي أن تكون واقعية ومنسجمة مع الاتجاهات الاجتماعية السائدة في المجتمع في زمانه المعين، لأن الفلسفة التي لا ترتبط بطبيعة المجتمع وظروفه المرحلية في عصر معين تصبح مجرد أفكار خالية يصعب تحقيقها وهذا يؤدي في النهاية إلى الفصل بين الأهداف والوسائل.

أن تكون مرضيا عنها من جميع فئات المجتمع: فثقافة الطفل العربي تحتاج إلى أن تكون على وعي بفلسفة المجتمع عامة وأهدافه في إعداد المواطن العربي، حتى نتمكن من إيجاد مبادئ و استراتيجيات ثقافة الطفل، ولرسم الخطط التي تحقق هذه الأهداف وتعد البرامج الثقافية المناسبة التي تحمي وتحافظ على ثقافة المجتمع، وتتابع وتقيم ما يقدم للأطفال بناء على فلسفة و أهداف التثقيف.

- أهداف تثقيف الطفل

لا بد أن تشمل الأهداف التثقيفية للطفل ما يلي:

البعد الجسدي: تتمثل العناية بالبعد الجسدي في وصول الإنسان إلى قدر معقول من الصحة الجسمية، عن طريق ممارسة ألوان من التربية الرياضية ، والوقاية من الأمراض

وتناول الغذاء الجيد، ومن جهة ثانية لا يستقيم نمو الجانب العقلي نمو سليما في جسم سقيم، ومعنى هذا وجود علاقة بين البعد الجسمي والبعد العقلي.

البعد العقلي: يقصد به التربية العقلية التي تهتم بنمو عقل الطفل والكشف عن استعداداته و إمائها وإكسابها مهارات عقلية كالتفكير السليم والتذكر والقدرة على الابتكار، فوظيفة مؤسسات التثقيف في المجتمع هي تمكين الطفل من إتمام قدراته ويتم ذلك من خلال البرامج التعليمية المتنوعة والمواقف الحياتية العديدة بحيث يتمكن الطفل من التصرف السليم وتنمية قدرته على مواجهة المواقف المختلفة.

البعد الانفعالي: فوظيفة التثقيف هي تنمية أفراد يتميزون بضبط عواطفهم من الانفجار لأتفه الأسباب، متزنين، إنسانيين، والاتزان العاطفي هو أحد مؤشرات نضج الشخصية ويساعد الطفل على التحكم في حدة عواطفه.

البعد الأخلاقي: فالشجاعة والإيثار والتضحية وحب الناس والعطف عليهم هي محامد الأخلاق التي تسعى التربية إلى غرسها في نفوس الأطفال حتى يكونوا مثالا طيبا في المجتمع ، ومن الأمور التي ينبغي التنبيه إليها أن الأخلاق لا يكفي فيها التلقين، إذ أن التلقين للأطفال لا يعني أنهم أصبحوا خلوقين، إنما لا بد من ترجمة هذه الأخلاق إلى سلوك يومي يمارس في الحياة.

البعد الاجتماعي: تعتبر تنمية هذا الجانب من الأمور الهامة بالنسبة للفرد والمجتمع فعلى الروضة والمدرسة أن تزود الطفل بثقافة وتراث المجتمع الذي يعيش فيه ومن ثمة نقله إلى الأجيال اللاحقة.

- **البعد الديني:** لا بد أن يشتمل الإطار التثقيفي للطفل على البعد الديني بحيث يكون بمثابة الإطار والقيود الحاكمة لتصرفاته.

- **البعد الجمالي:** وتتم عملية التثقيف من خلال برامج متعددة يتعايش الطفل معها على الترتيب والنظام والتناسق وتذوق الأشياء وجمالها.

- وعليه فإن الهدف من تثقيف الطفل العربي في تلك المرحلة ينبغي أن يكون تنمية الوعي الإسلامي لديه وغرس المبادئ الإسلامية في نفسه، وتلقينه قيم الحضارة الإسلامية والحب والولاء للأمة العربية الإسلامية وضرورة تكوين المدركات العلمية المناسبة وغرس الاهتمام بالعلوم الحديثة وتشجيع الميول والاتجاهات العلمية الأساسية اللازمة مثل: حب الاستطلاع والتخيل والملاحظة.

- عناصر ثقافة الطفل

يلاحظ أن الأطفال في المجتمع الواحد لا يتفاعلون مع كل العناصر الثقافية الجارية في مجتمعهم بسبب ظروفهم، وأعمارهم وخصائصهم ومتطلباتهم النمائية، لذا فإن الأطفال يمثلون عناصر ثقافية ولا يمثلون أخرى، ولكن هذه العناصر التي يمثلونها تكاد تكون شائعة فيما بينهم وهناك فئة من الأطفال تمثل عناصر ثقافية خاصة بهم، بسبب أوضاعهم الاجتماعية أو المهنية داخل المجتمع الواحد، وينتج عن هذا التفاوت- بين امتصاص الأطفال للعناصر الثقافية في مجتمعهم- أن تشيع بعض العناصر الثقافية بين معظم الأطفال، الأمر الذي يجعل بعض العناصر الثقافية عامة عند الأطفال وبعضها خاصة هذا يعني أن يظهر في ثقافة الأطفال ما قد ظهر في ثقافة الكبار من عموميات وخصوصيات ومتغيرات.

-عموميات ثقافة الطفل

إن العموميات الثقافية في ثقافة الأطفال هي تلك العناصر الثقافية التي تشيع بين أطفال المجتمع الواحد أو يمثلها هؤلاء الأطفال بغض النظر عن الأوضاع الاجتماعية أو المهنية التي تنتسب إليها أسرهم داخل المجتمع الكبير، ومن هذه العموميات: طريقة تفكيرهم في مراحلهم النمائية ومتطلباتهم الأخلاقية، وتصورهم لمفاهيم الأشياء والعلاقات الاجتماعية، هذه العناصر تمثل القاسم المشترك الذي يعمل على تجانس ثقافة الأطفال في مجتمع من المجتمعات.

– خصوصيات ثقافة الطفل

هي العناصر الثقافية التي يختص بها أطفال طبقة اجتماعية أو مهنية معينة ولا تسود عند أطفال الطبقات الأخرى بصورة عامة، فمثلا يتميز أبناء البادية أو المناطق الريفية أو أبناء المدن التجارية والصناعية ببعض العناصر الثقافية التي يتسمون بها عن غيرهم بسبب ظروفهم الخاصة التي تميزهم عن باقي المناطق الأخرى، هذا يعني أن التفاوت الثقافي بين البيئات الاجتماعية يعكس ظلاله على الأطفال في تلك الاماكن، حيث يتمثل الطفل في بيئته الخاصة عناصر ثقافية لا يمثلها طفل آخر يعيش في بيئة أخرى لا تتميز بمثل هذه العناصر الثقافية، وهذا يعني من الناحية التربوية أن الطفل يتأثر بالبيئة الثقافية الخاصة ويتمثل ما فيها من نماذج ثقافية للمحافظة على تراثها والتكيف مع خصوصياتها.

متغيرات ثقافة الأطفال

المتغيرات أو البدائل الثقافية في ثقافة الأطفال هي تلك العناصر التي تستجد في ثقافتهم، أو تدخل في إطارها عن طريق الاتصال المباشر أو غير المباشر بثقافة مجتمعات أخرى وهذا يعني أن الأطفال يتعرضون للتفاعل مع ثقافات أخرى عن طريق الترحال مع أسرهم أو عن طريق التفاعل مع البرامج الثقافية المنقولة عبر شاشات التلفزيون أو وسائل الاتصال الأخرى المرئية والمسموعة أو المقروءة، ويلاحظ أن عناصر البدائل الثقافية في ثقافة الأطفال تتسلل إليهم بداية عن طريق أطفال معينين بصفتهم الفردية أو بصفتهم الطبقية، ولكن سرعان ما تدخل هذه العناصر البديلة في إطار طبقة معينة من الأطفال، فيتوسع نطاق قبولها فتصبح في إطار الخصوصيات الثقافية للأطفال، وهناك محاذير على انتشار البدائل في ثقافة الأطفال لأن هذه البدائل هي عناصر جديدة وقد تأتي من ثقافات أخرى، أو لا تتلاءم مع القيم التربوية التي يحملها المجتمع للأطفال أو مع الاتجاهات الحديثة في تنشئتهم ونموهم والعمل على مقاومتها حفاظا على تكوين شخصيات متوازنة في مرحلة الطفولة التي تشكل القاعدة الأساسية لشخصية الإنسان

الراشد فيما بعد، ويتج عن شيوع مثل هذه العناصر البديلة -التي لا تقع في سياق الأهداف الكبرى للمجتمع وفلسفته في تنشئة أطفاله- اضطراب في الشخصية الثقافية للأطفال واهتزاز الثقة بالثقافة العامة للمجتمع، وتكوين حالات من الشعور بالغربة الثقافية الوافدة بسهولة دون تمحيص، كما يمكن أن نميز عناصر ثقافة الطفل العربي كما يلي، لهذه الأسباب ينبغي دراسة هذه البدائل وتمحيص أثرها على الأطفال، وفي ضوء ذلك يمكن تشجيع انتشارها أو (لج):

- العناصر الإسلامية في ثقافة الطفل العربي

تمثل الثقافة الإسلامية العمود الفقري لشخصية الطفل العربي المسلم وأداة التوحيد الثقافي والتماسك الإيديولوجي، فعند محاولة وضع حد أدنى للثقافة الإسلامية المناسبة للطفل العربي فإن هذا يتطلب ضرورة إلمام الطفل العربي بمفاهيم إسلامية صحيحة عن الله والرسول -صلى الله عليه وسلم- والإسلام، وحفظ قدر مناسب من القرآن والحديث الشريف، كذلك لا بد أن يكون عند الطفل المدركات العقلية والعواطف والاتجاهات المناسبة عن أهم القضايا والمشكلات الإسلامية المعاصرة كقضية فلسطين والوحدة الإسلامية.

العناصر العلمية في ثقافة الطفل

الذي يتابع التنشئة العلمية للطفل في الدول المتقدمة يلاحظ مدى حرصها على توفير ثقافة علمية حية للطفل وربط تعليم العلوم بالبيئة وبجياة الأطفال وما يحيط بهم من أرض وجو وهواء وكهرباء وآلات، ولعل الطفل الجزائري مازال يفتقد للحد الأدنى من الثقافة العلمية الصحيحة عما يحيط به، ونحن في البلاد العربية بحاجة إلى تربية علمية تبدأ منذ الطفولة لتكوين العقلية العلمية المنظمة التي تعمل وهي مؤمنة بنفسها وبقدرتها على ملائمة العصر العلمي.

خاتمة

إن الجزائر بلد للخير و بلد قادر على فعل كل شئ بفضل شعبه القوي و القادر على التكيف مع مختلف المتغيرات المعاصرة، و كما حدث في أوائل القرن العشرين أن "فكرت جمعية المكتبيين الفرنسيين، في أن أرض فرنسا التي ستجد فيها أفكارها أكثر الحظ للإنتاش السريع، هو هذه الجزائر الجميلة، التي هي بلد المبادرات الشجاعة، و الإنجازات السريعة....، أية مدينة في فرنسا تفخر بتوفرها على سبع مكتبات فرعية لمكتبتها المركزية، و تمتلك إضافة لذلك خمس مكتبات للأطفال، مدينة باريس ليس لها بعد إلا مكتبة وحيدة للأطفال"، و احتضنت الجزائر من جديد رائدة للعالم في مجال المكتبات العامة، و كما كانت أرضا خصبة لها في الماضي ستكون أرضا أكثر خصوبة في الوقت الحاضر لأنها ستبنى و تتطور بأيدي أبنائها المخلصين لها والواثقين في تطورها و رقيها.

قائمة المراجع:

- 1-الزاحي، سمية. المكتبات العامة في الجزائر بين النظريات العلمية و معطيات الواقع :المكتبات العامة البلدية لولاية سكيكدة نموذجاً . أطروحة ماجستير .علم المكتبات : جامعة منتوري : قسنطينة، 2001
- 2-قحوج، نجية . الإطار القانوني و التنظيمي للمكتبات العامة في الجزائر: دراسة وصفية تحليلية لمكتبات الشرق الجزائري. أطروحة ماجستير : علم المكتبات: قسنطينة، 2001
- 3-المسفر، عبد العزيز محمد. المكتبات المدرسية و العامة: الدور المفقود و الحل المطلوب. مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية. 1955، مج.1، ع.1
- 4- مصطفى ، نعات. الخدمات المكتبية للأطفال : دراسة تحليلية لتحديد احتياجات الطفل بالملكة العربية السعودية . بحث مقدم للمشاركة في ندوة " الطفل والتنمية " .الرياض، 1987
- 5-مزهود، نوال. دور رياض الاطفال في تنمية ثقافة الطفل: دراسة ميدانية بولاية سطيف. أطروحة ماجستير . علم إجتماع التربية :جامعة محمد خيضر : بسكرة ، 2009
- 6-وزارة الثقافة ، مديرية الفنون و الآداب ، المديرية الفرعية للكتاب و المطالعة العمومية و دعم الإبداع .معايير خاصة بالمكتبات العامة. 21ديسمبر 2004
- 7-قانة، ياسر عرفات. المكتبات و المطالعة العمومية : الواقع و الآفاق . اليوم الدراسي و الإعلامي حول المشروع الأولي لقانون الكتاب و المطالعة العمومية وضعية قطاع الكتاب و مقترحات التطوير . وزارة الثقافة: الجزائر ، 1 ديسمبر 2005.
- 8- عبد الهادي ، محمد فتحي. المكتبات العامة. القاهرة :الدار المصرية اللبنانية ، 2001